تقعيد قاعدة نحوية

"إضافة الجهات الأربع"

الأستاذ صبحي البصّام

١- إضافة الجهات الأربع:

يدلّني استقرائي للغة العرب الفصحاء ومن اقتدى بهم على أنّ الجهات الأربع الشَرق والغَرب والشَمال والجَنوب، وكلها بفتح أولها، إذا أضيفت فالأكثر أن يُلحق بآخرها ياء النسب المشدّدة. فمثلاً يقال في قرية (هي غربيّ الموصل)، على أنه يقال أحياناً (هي غرب الموصل) بحذف الياء، ويقال (مات في شرقيّ بغداد ودُفن في غربيّها)، ويقال أحياناً (مات في شرق بغداد ودُفن في غربها)، ويقال (تحوَّلتُ من شماليّ عمّان إلى جنوبيّها)، ويقال أحياناً (تحوَّلت من شمال عمّان إلى جنوبها)، فإذا أُضيف اسم من أسماء الجهات الأخرى لم يلحق بآخره الياء المشددة، فمثلاً يُقال (وقفتُ أمام الشجرة ثم قعدتُ تحتها)، ولا يقال: (وقفتُ أماميّ الشجرة ثم قعدت تحتيّها). وأنا ذاكر ههنا شواهد للجهات الأربع تؤيد ما ذهبت إليه:

٢- مما أُلحق بآخره ياء النسب:

أ- نحو شرقيّ:

قول زهير بن أبي سُلمى (الديوان):

ثم استمرّوا وقالوا إنّ مشربكم ماءٌ بشرقيّ سلمى فَيْدُ أو فَدَكُ

وقول مالك بن الريب (معجم ما استعجم ج٤ – المنيفة):

بـينَ المنيفـة حيـث اسـتنَّ مـدفعها وبـين فـردَةَ مـن شـرقيّها قُـبُلا

وقول مطرود بن كعب (معجم ما استعجم ج٣ ص٩٩٧):

وميّـت أوجعنـي فقـدُهُ مـات بشـرقيّ البنيّـاتِ

وقول جرير (الديوان ص٤٩٣):

هبّـت شـمالاً فـذكرى مـا ذكـرتُكُمُ إلـى الصـفاة التـي شـرقيّ حورانـا

وقول عدي بن الرقاع (الديوان ص٤٤):

أتعـرف بالصـحراء شـرقيّ شـابكٍ منـازلَ أعراهـا الأنـيسُ وملعبـا

وقوله أيضاً (الديوان ص٦٥):

ثـم اكفهـرّت شـريقيّ اللـوى وأوى إلـى تواليـه مـن سُـفّاره رفـقُ

وقول مُليح الهُذلي (معجم البلدان – زيزاء):

ومـن دون ذكراهـا التـي خطـرت لنـا بشـرقيّ نعمـان الشـرى والمعـرّفُ

وقول قيس المجنون (أمالي القالي ١/١٣٦):

سـقى طلـل الـدار التـي أنـتُمُ بهـا بشـرقيّ لبنـى صـيّف وربيـعُ

وقول الطِّرماح (الشعر والشعراء ٥٦٨/٢):

فخـرتَ بيـوم العقـر شـرقيّ بابـل وقـد جبنـت فيـه تمـيمٌ وفُلّـتِ

وقول إسماعيل بن عمّار الأسدي (معجم ما استعجم ٥٩٦/٢ – دير اللجّ):

مـا أنـسَ سـعدةَ والزرقـاءَ يـوم همـا بـاللجّ شـرقيّه فـوق الـدكاكينِ

وقال أبو نواس (الديوان):

ولـم أدرِ مَـنْ هُـمْ غيـر مـا شـهدت بـه بشـرقيّ سـاباط الـديارُ البسـابسُ

وقول بعضهم في قصر ابن هبيرة (تأريخ الطبري ٧): (وكان شرقيّ الكوفة مما يلي بغداد).

وقول الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (صفة جزيرة العرب ص٤٣٦): (ووادي جِلذان منقلب إلى نجد شرقيّ الطائف يسكنه بنو هلال).

وقول ياقوت الحموي في معجم البلدان في (أسوان): (في آخر صعيد مصر وأول بلاد النوبة على النيل من شرقيّه)، وقوله في الكتاب نفسه في (تدمير): (وهي شرقيّ قرطبة).

ب- ونحو غربيّ:

قول ابن حزم الأندلسي (طوق الحمامة ص٧٧): (قال لي فتنزّهنا يوماً إلى بعض ضياعنا بالسهلة غربي قرطبة).

وقول الصغاني (التكملة والذيل والصلة ٣١٥/١): (الزيتون قرية على غربيّ النيل).

وقول أبي الفداء (مجاني الأدب ٢٠٧/١) (وهي في ذيل الجبل من غربيّه)، وقوله (مجاني الأدب ٢١٠/١): (والجبال من غربيّ المدينة).

وقول ابن حوقل (صورة الأرض ص٦٠) (وأما الغرب فبعضه ممتد على بحر المغرب من غربيّه).

وقول القزويني في (إفرنجة) (مجاني الأدب ٢٢٤/١): (في آخر غربيّ الإقليم السادس).

وقول أبي عبيد السكوني في (أجأ) (تاج العروس ٤٠/١ بولاق): (أحد جبلي طيىء وهو غربيّ فيد).

وقول ياقوت الحموي في (الأنبار) (معجم البلدان – الأنبار): (مدينة على الفرات في غربيّ بغداد).

وقول ابن خلدون (مقدمة ابن خلدون ص٥٣) (الإقليم الأول وفيه من جهة غربيّه الجزر الخالدات).

وقول ابن البيطار (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ١٢٢/٢ بولاق) في نبتة: يقال لها في الأندلس (بَيُنْب): (ويُدبغ بها الجلود بغربي بلاد الأندلس). على أننا سنراه يحذف الياء في موضع آخر من الكتاب.

وقول أحمد المقري التلمساني في الجزر الخالدات (نفح الطيب): (وهي غربيّ مدينة سلا). وسنراه يحذف الياء في موضع آخر من الكتاب.

جـ- ونحو شماليّ:

قول الصغاني (التكملة والذيل والصلة ٤٥٩/١): (صهرجتُ قريتان من قرى مصر شماليّ القاهرة).

وقول الفيروزآبادي (القاموس – العمود): (والعمادية قلعة شماليّ الموصل).

وقول أبي الفداء في نصيبين (مجاني الأدب ٢١٥/١): (في شماليّها جبل كبير).

وقول ابن خلدون في جزيرة إنجلترا (مقدّمة ابن خلدون ص٧٧): (ووراء هذه الجزيرة في شماليّ الجزء الثاني جزيرة رسلانده).

وقول ابن البيطار (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ١٧١/٢): (وقد شاهدتُ نباته... بالضيعة المعروفة بكفر السلوان شماليّ الضيعة المعروفة).

أما (شمال) بمعنى اليد اليسرى فلا تلحقها ياء النسب المشددة عند إضافتها لأنها ليست من الجهات الأربع، جاء في تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: (شمال بني آدم) وذلك في تفسير قوله تعالى: (عَنِ اليمينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ) (ق/١٧).

د– ونحو جنوبيّ:

قول أبي الفداء في الموصل (مجاني الأدب ٢١٤/١): (في جنوبيّ الموصل يصب الزاب الأصغر إلى دجلة).

وقول ياقوت الحموي في أندرين (معجم البلدان – أندرين): (اسم قرية في جنوبيّ حلب). وقوله في معجمه أيضاً في (التبر): (وإليها ينسب الذهب الخالص وهي في جنوبيّ المغرب).

هـ– النصوص المذكورة آنفاً:

فالنصوص التي ذكرتها آنفاً، وهي أربعة وأربعون نصاً، تشهد لإثبات ياء النسب المشدّدة في آخر الجهات الأربع عند إضافتها، عشرة منها هي لتسعة من

العرب القدماء الفصحاء المستشهد بلغتهم، والباقي منها هو لثلاثة عشر من المولّدين وأكثرهم من المعروفين بجودة لغتهم.

٣- مما لم يلحق بآخره ياء النسب:

أ- نحو شرق:

قول المتنبي (سرقات المتنبي ومشكل معانيه ص١٠٣):

قصدت من شرقها ومغربها حتى اشتكتكَ الركابُ والسبلُ

وقول ابن الخياط الدمشقي (الديوان ص١٧٧):

من الزُهر لا يُلفين إلا كواكباً طوالع في شرق الزمان وغربهِ

وقول علي بن محمد الهمذاني في اشتياقه إلى بغداد (تأريخ بغداد ٥٢/١):

فقد طُفت في شرق البلاد وغربها وسيّرت رحلي بينها وركابيا

وقول الطبيب أبي العباس النباتي (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٥/١): (بشرق بلاد العدوة).

وقول ابن البيطار في الكتاب نفسه (١٧٨/١): (وهي تربة العسل عند أهل شرق الأندلس).

وقول لسان الدين بن الخطيب:

ضاق عن وجدي بكم رحب الفضا لا يبالي شرقه من غربهِ

ب- ونحو غرب:

قول لسان الدين بن الخطيب المذكور آنفاً وفيه: لا يبالي شرقه من غربهِ.

وقول علي بن محمد الهمذاني المذكور آنفاً وفيه: فقد طفتُ في شرق البلاد وغربها.

وقول ابن الخياط الدمشقي المذكور آنفاً وفيه: طوالعُ في شرق الزمان وغربهِ.

جـ- ونحو شمال:

قول أحمد المقري التلمساني في جزيرة برطانية (نفح الطيب ١٦٧/١): (وهي بوسط البحر المحيط بأقصى شمال الأندلس).

د- ونحو جنوب:

قول النابغة الذبياني (طراز المجالس ص٢٦٣ - طبعة قديمة):

وقُلن لحا اللهُ ربُّ العباد جَنوب السخال إلى يترب[1]

وقول زفر بن الحارث الكلابي (مجلة البلقاء، الجامعة الأهلية بعمان، العدد ١٥٦/٢ أيار ١٩٩٢):

فجنوب عكّا فالسواحل إنها أرض تذوب بها اللقاح وتهزلُ

وقول بعضهم (أساس البلاغة ص٤٤٨):

---

(١) يترب بالتاء المثناة من فوق قرية باليمامة.

نجّمـــن أنـــوار الربيـــع لمأســـلٍ فلـذي قضـين إلـى جنـوب السـاحلِ

وجوّز الأستاذان محمد جواد النوري وعلي خليل أحمد في مجلة البلقاء (العدد ٢/٢١٤- أيار ١٩٩٢) أن يكون البيت ملفقاً من بيتين، وذكرا البيتين، فلم يكن فيهما (جنوب)، ومع ذلك، فرواية (جنوب) في هذا البيت شاهد يعوّل عليه.

وللشريف المرتضى بيت هو في (طيف الخيال ص١٣٠) وهو:

وطيـــفٍ مـــنكمُ بجُنُـــوب نجـــدٍ أرانـــي مـــن زيـــارتكم مثـــالا

وفيه (جُنُوب) بضمّ فضمّ وكأنها جمع (جَنْب)، كحدّ، وحُدُود، وسَهْب وسُهُوب. وأفاد محقق الكتاب الأستاذ حسن كامل الصيرفي أنها في أصل الديوان (بنجوب). قلتُ: فالبيت فيه موضع للأخذ والردّ والأولى أن لا يتخذ شاهداً.

هـ- النصوص المذكورة آنفاً:

فالنصوص التي مرّت بنا آنفاً، وهي عشرة نصوص، تشهد لجواز أن يُغفل استعمال ياء النسب المشدّدة في آخر الجهات الأربع عند إضافتها، نصّان منها لشاعرين قديمين فصيحين يستشهد بلغتهما، ونص ثالث يدلّ على قدم قائله وأصالة لغته، وما بقي من النصوص هو لسبعة من المولّدين.

٤- تقعيد قاعدة نحوية:

وقد قعّدتُ مما تقدّم قاعدة نحوية حقها أن تكون في باب الإضافة من كتب النحو وهي:

إذا أُضيفت جهة من الجهات الأربع الشَرق والغَرب والشَمال والجَنوب، وكلها

بفتح أولها، فالأكثر أن يُلحق بآخرها ياء النسب المشدّدة، كقول زهير بن أبي سُلمى:

ثم استمرّوا وقالوا إنّ مشربكم ماءٌ بشرقيّ سلمى فيدُ أو فَدَكُ

وقول مالك بن الريب:

بين المُنيفة حيث استنّ مدفعُها وبين فردة من شرقيّها قُبُلا

وقلما يغفل إثبات ياء النسب في آخرها عند إضافتها، كقول النابغة الذبياني:

وقُلن لحا اللهُ ربُّ العباد جَنوبَ السِخال إلى يتربِ

تعليق:

إني وضعتُ نصوص الياء المشدّدة في كفة الميزان، ووضعت النصوص التي بلا ياء مشددة في الكفة الأخرى من الميزان، فلما رجحت كفة الياء المشدّدة، وشالت الكفة الأخرى، جعلتُ القاعدة على النحو المذكور آنفاً. فمن استطاع أن يجمع مزيداً من النصوص للكفتين، وهو جادّ وأمين في جمعه، بما يجعل الكفّة الشائلة هي الراجحة، أو بما يجعل الكفتين متعادلتين، فليأتنا بنصوصه، فعندئذ تعدّل القاعدة بمقتضى ذلك، وما أظن ذلك بكائن.

٥- القاعدة وأدباء العصور الحديثة:

ولا أتذكر أني رأيتُ أحداً من أدباء العصور الحديثة يلحق ياء النسب بآخر جهة من الجهات الأربع عند الإضافة، كأنهم لم يفطنوا بها، أو كأنهم آثروا التخفيف والاختصار، مقتدين بقدماء فصحاء كالنابغة الذبياني، وذلك منهم صحيح فصيح. وممن لم يلحقها مترجم الكتاب المقدس إلى العربية. جاء في ترجمته له

(وتبعهم إلى جونة التي شمال دمشق) (الإصحاح الرابع عشر)[٢] والأستاذ عباس محمود العقاد، قال في كتابه (عبقرية المسيح): (هجرت بيت المقدس إلى شرق الأردنّ) (ص١٤٨)، والشيخ حمد الجاسر في مجلة العرب (ج٥ و٦ حزيران ١٩٩٢) كقوله في المدينة المنوّرة (من شرقها) ص٣٢٥، وكقوله (جنوب ميناء جازان) ص٣٤٧. والشاعر محمد مهدي الجواهري (الديوان ٣/٢٤٦):

لتريك أفراح العراق شماله وجنوبه وشبيبة وكهولا

٦- تذييل:

وقد وجدتُ من يقول (الشمال الإفريقي)، كقول الدكتور حسين مؤنس في مقدّمة كتابه (فتح العرب للمغرب): (بدخول الشمال الإفريقي). وأنا أشنأ هذا التعبير وإن كنت لا أميل إلى تخطئته، ذلك بأني لم أر نظيراً له فيما قرأت من كتب السلف، وكأنه مقلوب. وقد مرّ بنا أن الطرمّاح قال: (شرقيّ بابل) ولم يقل: الشرق البابليّ، وأن الصغاني قال: (على غربيّ النيل) ولم يقل: على الغرب النيليّ، وأنّ الحموي قال: (في جنوبيّ حلب)، ولم يقل: في الجنوب الحلبيّ، وأن الصغانيّ قال: (شماليّ القاهرة)، ولم يقل: الشمال القاهريّ، فإن كان قول الدكتور حسين مؤنس حسناً فالأحسن أن يقول: بدخول شماليّ إفريقيا، أو: بدخول شمال إفريقيا. واستعمل من بعده (الشمال الإفريقي) أستاذ لغويّ، وذلك في مجلة اللغة العربية بدمشق (مج٥٦ ج٢ ص٤١٠)، ومن أجل أنه لغويّ انتقدت عليه ذلك في المجلة نفسها، بأن قلت (استعمل في مقالته ما ليس بالمسموع كقوله: بلدان الشمال

---

(٢) مترجم الكتاب المقدّس في الأصل هو اللغويّ العلامة أحمد فارس الشدياق، ولكن ترجمته أشرف عليها أستاذ في جامعة أوكسفورد، فكان يُلزمه بتغيير أكثر تعابير ترجمته لكي يفهمها العوام، ولكي تكون بعيدة من أسلوب القرآن، وبعد أن فرغ من الترجمة بلغه أنّ الأستاذ التوتونجي راجعها فغيّر كثيراً منها زاعماً أنه يصحح بذلك لغتها، فاغتاظ منه الشدياق، وشتمه نثراً وشعراً، وأفحش في ذلك، فما أدري من كتب عبارة الكتاب المقدّس: (شمال دمشق).

الإفريقي) (مج٥٨ ج٤ ص٨٢٥)، ولم أزد ولم أوضح، وفي قولي ههنا زيادة على ما قلت، وإيضاح له، ولكل قولٍ إبّان.

٧- ختام:

هذه القاعدة النحوية على ما أراه من صوابها، لو كانت طُعّمتْ بمزيد من الشواهد الجاهلية والإسلامية لتشهد في فرعيها لسائر الجهات الأربع أو لأكثرها لكانت أجود وأحمد، وقد مضت عليّ عدة سنين، وأنا في مدينة شفيلد بعيد من خزائن الكتب العربية، فتعذّر عليّ الاستزادة من الشواهد، ثم إني وجدتني قد أخذت السن منّي، وتقعقع شَنّي، وانحنت صَعْدتي، فرأيت أن أنشر القاعدة وهي على حالها هذه، وعسى أن يكرمها البصير في النحو واللغة بقبولٍ حسن. فإن كان له ما يخالفني فيه، فأنا مُعِدٌّ لأن أتعلم منه، وعسى أن يكون محوطاً بنور العلم، ومنوطاً بنُصح الجيب، لتحسن الفائدة، وتروق العائدة، وفوق كل ذي علم عليم.